

## البدة<sup>(1)</sup>

احتشد الناس في (سوق الملح) حول ثور جميل يقوده الجزار وهو محتار إلى أين يذهب به.. فقد اكتشف به خصائص لا توجد في بقية الثيران التي عرفها في حياته.. كانت الأصوات تتعالى:

- لا حول ولا قوة إلا بالله..

- نستغفر الله العظيم ونعوذ به من كل شر ومكروه..!

وأحاديث كثيرة دارت كلها تعوذ واستغاثة واستغفار يلوكها القوم المحتشدون حول الثور والجزار..!

وبدأ الهمس بينهم يعلو.. وانتشر ليعم الجميع حتى أصحاب الحوانيت الصغيرة الضيقة عرفوا الثور.. وتأججت العواطف.. وقد احتار الجزار نفسه في أمر هذا الثور.. هذا الثور الذي نُكب به..

لقد اشتراه بمبلغ باهظ بعد أن ثمنه خير تئمين ووزنه بنظره أرطالاً تعد بالمئات وحسب أرباحه من بعد ذلك.. الثور سمين.. مربوع القامة.. منعم الأجزاء.. حتى ذيله الطويل سيكون لحماً ويوزن بالرطل.. أما سنامته العالية المنحنية على جانب من جسمه كظل الجبل فتدل على أنه مكتنز لحماً كثيراً ورقبته كانت عريضة السطح..

وعندما اشتراه الجزار من قبيلي همدان كان يعرف مسبقاً بأن (الهمداني) يريد التخلص من الثور برغم مزاياه العديدة.. لأن لونه أسود لا غير.. وهي عقدة عند قبيلة همدان من الأبقار السوداء، ظلت تتحكم فيهم أباً عن جد منذ طحن المطهر بن شرف الدين رؤوس منات الأشخاص من أفراد القبيلة بثيران سوداء اللون.. وقد جنحت همدان للخضوع ولم يبق من آثار لتمرد لها سوى كرهها لهذا اللون على جلود الأبقار السوداء.. فهم لا يشترونها.. وإذا ظهرت بين أبقارهم فهم يتخلصون منها مهما كانت قوية ومفيدة لهم في حرثهم وحصادهم ودرسهم.. بل استعاضوا بالحمير والجمال في الحرث والحصد والدرس عن الثيران، وما أكثرها في أرضهم السوداء أيضاً..!

كان الجزار قد قدم القصب والعلف لثوره وهو فرح مسرور منبسطة غاية الإنبساط والفرح والسرور لما سيحققه من ربح.. ولما سوف يحصل عليه من ربح مضمون.. ولكن الثور امتنع عن تناول القصب والشرف..

<sup>1</sup> البدة: امرأة يعتقد بأن لديها القدرة على مسح الإنسان إلى أي نوع من أنواع الحيوانات كالكلب والثور والحصان..!

حاول معه عدة مرات.. وكان يعود وإذا بالقصب والعلف في مكانه لم يمسه الثور ولم يأكل منه حتى قشة واحدة. . واحتار الجزار واحتارت معه أسرته.. أمه وزوجته وأولاده.. جرب مرة أخرى حيث اشترى من (مقشامة) مجاورة زرعاً أخضر من الشعير والقمح وقدمها للثور فلم يلتفت لها.. وانتابت الجزار حالة عصبية لكنه كتمها.. وحاول (تغريزه)<sup>(2)</sup> كغيره من الأبقار فلم يقبل.. قدمت زوجة الجزار للثور بقية ماء كانت قد غسلت به الأواني الفخارية مخلوط بالفتات المتبقي.. حسب عاداتها في تقديم ذلك لبقرتها الدرورة.. ومع ذلك لم يشرب الثور وإن كان قد أبدى استعداداه لمجرد الشم بتأفف!!

ليلة ويوم مرت وتلتها ليلة أخرى والثور على عناده!! وجلس الجزار بجواره في (الحوي)<sup>(3)</sup> الطلق محتاراً في أمره.. يزن بنظره ويقدر كم قد نقص وزنه!!

لاحظ خيط دموع تنهمر من عينيه لم يلحظها من قبل في أي ثور أو كبش أو عجل.. واستبطأته زوجته فأخرجت له العشاء المكون من (كدمتين) مع (مدرّة) (برعي) وقليل من (سحاوق)..!

فتحت (القوارة) المزركشة فبدأ يتناول عشاءه بدون رغبة أو شهية فقد أفقده هذا الثور الذي كان يظن منه الخير الوفير كل رغبة في الأكل والنوم.. وفجأة حرك الثور رأسه نحو مائدة عشاء الجزار.. وبدأ يتشمم (الكدم).. وما هي إلا ثانية حتى كان قد التهم إحداها..

فرح الجزار لهذا التطور الذي حدث ولو على حساب عشاءه.. وأقبلت زوجته (بجمنة) قهوة من (القشر) مع فنجان (حيسي) فأمرها بلهفة بأن تسرع في إعطائه مزيداً من أرغفة (الكدم).. استغربت الزوجة لهذا الطلب الملح، ولكنها نفذت الأمر سريعاً وأعطته حتى بقية غذاء البارحة من (الكدم).. وبدأ الثور يلتهم (الكدمة) إثر الأخرى..

وغمرت الجزار سعادة بالغة إلى درجة أنه بدأ يغمس (الكدمة) في وعاء (البرعي) فيلتهمها الثور بشهية ولهفة.. وإذا ما زاد عليها غمسة في (السحاوق) زاد إقبال الثور أكثر فأكثر!!

<sup>2</sup> تغريزه = من غرزة جزء من قصب الذرة مطوية بالبرسيم والعلف.  
<sup>3</sup> الحوي = حوش المنزل.

توقف الجزار وهو يحاول جمع شتات ذهنه فقد طرأت عليه فكرة مخيفة بأن ما يحدث هو مطابق لما كان يتخيله!.. ارتاع لذلك الخيال.. وبرغم الاندهاش الذي وقع منه فقد كرر العملية مرة أخرى في اليوم الثالث حيث أعطى الثور القضب والعلف فلم يتناول منها أي شيء بل لم يتكرم حتى بشمها أو النظر إليها..

فأعطاه (كدمة) أكلها الثور بلهفة..!

زاد ذلك من روعه .. إذا فهي الحقيقة!!..

اجتمع جيرانه به وقد حكى لهم القصة فأبدوا دهشتهم لما حكاها.. ونصحه البعض بالتروي وعدم الاستعجال في ذبح هذا الثور.

ولما هجع إلى جوار زوجته وأطفاله انتابه إحساس بالرهبة والخوف والقلق.. زاد منه إصرار زوجته وإيمانها بما قاله بعض الجيران!..

كانت الخرافة مستحكمة في أذهان الناس.. حول (البدة) وهي كما يقولون امرأة تحول الرجل إلى أي شكل حيواني ممسوخ.. ويظل على تلك الحالة مدى الحياة.. ولا يعرف أي إنسان مدى صحة هذه الحكاية أو الإشاعة التي أصبحت في مخيلة الناس حقيقة يغذيها الإمام بما يردده من أحاديث عن قيامه بحملات لتطهير البلاد من تلك (البدات) ولكن رددت ألسن الناس انتصارات الإمام يحيى على (البدات) في أكثر مناطق مملكته المهتزة التي لا يعرف أرضها ولا البشر العائشين عليها!!.. وانشغل الناس بذلك.. كلهم.. في المدينة أو الريف.. لينسوا قلاقل الانتفاضات والتمردات التي تعم البلاد في أكثر من منطقة..

بدأ جيران الجزار يهمسون بقضية الثور الذي لا يأكل إلا (الكدم).. وبأنه إنسان..! مسخ بواسطة (بدة) من (بدات) اليمن التي يحاربها الإمام يحيى..! وانتشر الهمس.. ثم تحول إلى دعايات صارخة.. تجمع لها الناس والتفوا حولها في كل مكان.. من سوق الملح وجميع الأسواق المحيطة به.. كسوق البز.. وسوق المحدادة.. وسوق الطعام وسوق الصاغة والحرفيين.. حتى (قاع اليهود) بسوقهم المشهورة.

وكان للإمام يحيى عيونه التي تطوف أرجاء المدينة وترتدي لباس الفقهاء بعمائمهم البيضاء وثيابهم المرسله.. كانوا يجوبون كل مكان في المدينة.. في الأسواق وفي المقاييل.. حتى مقاييل النخبة التي يشك الإمام بطموحها المعارض لحكمه..

وقد نجح هؤلاء في توجيه مسيرة الثور وصاحبه الجزار والمتفرجين عليه ممن عرفوا القصة.. وتم إقناع الجميع بأخذ الثور إلى مكان مقابلة الإمام في مقامه الشريف لينظر في ذلك الأمر الخطير..

كان الثور مع صاحبه الجزار يمر من أمام حوانيت سوق الملح والأسواق الأخرى منكس الرأس ينظر شزراً إلى صاحب حانوت عجوز وبعينه دمعة.. فيقوم صاحب الحانوت العجوز بإطعامه قطعة من سكر أو حفنة من زبيب.. وإذا ما نظر الثور إلى حانوت معين وتوقف أمامه يقوم صاحب الحانوت بتقديم مزيد من الحلوى والزبيب والخبز..

وفي (باب السباح) وهو سوق جديد أمام قصر الإمام يحيى تكثر فيه حوانيت بيع (الرواني) والبقلوة وجميع أصناف الحلويات الأخرى والفواكه والخبز بجميع أنواعه.. كان يلذ للثور أن يتناول ما يقدم له من أصحاب الحوانيت وكلهم استغاثة وتعوذ بالله من شر ما خلق..! كان الإمام (يحيى) متربعا على كرسيه المتآكل الذي تبقى من آثار (الترك) في البلاد كغيره من المنشآت وهو في (مواجهته) المعتادة للناس يوههم بأنه يقضي مشاكلهم مع أنه يحيل بعض الأوراق على كتبه المنحنى الظهر ويتقبل النذور بجميع أنواعها من القبائل البسطاء كسمن وبيض ودجاج وبعض خرفان أو عجول أيضاً..!

ويوزع بركاته الإلهية على بعض المواليد من أبناء نساء ورجال القبائل المحيطة بصنعاء مقابل ما يقدم له من قروص فضية كأنها قرص القمر. كان الإمام (يحيى) مستعداً ومهياً لاستقبال ذلك الثور السمين.. حيث أدخل إلى مقامه مع جمهرة من الناس وبعض من خاصيته العسس. نهض قائماً ثم صاح بصوته المسجوح الصادر عن وجهه القبيح المحروق: - لا حول ولا قوة إلا بالله.

ونهض كتبه المحدودبو الظهر وانكمش الجزار في وقفته وقد طغت عليه هموم جملة لم يتوقعها أو يتصور أنها سوف تحدث له.

واقترب أحد الفقهاء وهمس في أذن الإمام يحيى بالحكاية..

فانتفض الغول كديك رومي.. وتلعلع صوته كخطيب مصقع قائلاً:

- لقد قضينا على معظم (البدات) في البلاد ولم يبق سوى واحدة في منطقة (المحويت).. سيتم القضاء عليها فوراً إن شاء الله وبارادته بالرغم من أنها تتحصن بمنطقة وعرة..

وتكلم كثيراً ثم جلس ونظره يتفحص الثور السمين.. ثم نهض من جديد وأخذ على نفسه وعداً في مهلة بسيطة أمام الناس ولمدة يومين فقط للقضاء على (بدة المحويت).. وجلس وقد أمر بإدخال الثور إلى حوش مجاور حتى يعيد له آدميته.. وأقفل على الثور الأبواب!!..

\* \* \*

تجمع الناس في اليوم الثالث حسب وعد الإمام الذي خطب فيهم قائلاً:  
- لقد تم بحمد الله القضاء على (بدة المحويت) وقد خلصنا ضحيتها مما كان فيه..

وتمهل قليلاً ثم استمر قائلاً:

- إنه ابن لأسرة طيبة وشريفة وعريقة في جذورها.. مشهود لها بالعلم والتقى.. وقد يكون بينكم الآن موجوداً..

وهلل الناس حتى عسسه العارفون!!..

وبعد أيام استدعى الإمام الجزار (البورعي) الذي يقوم دائماً بالذباحة للإمام في المناسبات وما أقلها..! وقد استدعاه سراً.. حيث قام بذبح الثور ثم أخذ جلده ورأسه وبعض ما تكون للجزار بحسب العادة مقابل مهمته..! وعند عودة (البرعي الجزار) إلى منزله تمنع في جلد الثور وهو يصب عليه الملح ويفركه بكفيه كالعادة.. فعرفه..!!.. إنه جلد ثور زميله في المهنة..! وبما أنه جاره أيضاً فقد أخبره بذلك..!

وصدم الجزار صاحب الثور لهذا النبأ الذي اعتبره مغرضاً من زميله الآخر.. ولم يصدق حدوث ذلك.. ولكنه بعد تأمل طويل أسعفته زوجته بنصحه بالذهاب إلى الإمام حتى لمجرد الاستفسار فقط!

وفي اليوم التالي وبعد ليلة طويلة قضاها أرقاً أخذ نفسه بالأمها ووصل مقام الإمام يحيى.. وأخبره وبأسلوب الجزارين المعروف عنهم بالإفحام واللباقة الجلفة عن قضية ذبح الثور بأن ذلك سيكون سراً مردوماً في بير.

وصارح نفسه بأسلوب بارع بأن ذكر بأن الثور ابن الأكابر.. ابن الأسرة العالمية المتفهمة قد ذبح في (كاوش) العساكر..!

كان الإمام يحيى يعرف حذقة ولقانة الجزارين فنهض.. ثم هوى بصفعة مدوية على خد الجزار انتفض لصداها كل من كان في مجلس الإمام..

صنعاء: 1981/9/3م.